

وداع من عزّ فراقه

شهر دعينا فيه إلى ضيافة الله، ويسر لنا قبول الأعمال، بان صفّ الشياطين، وفتح صنوف الدعوات والقربات في هذا الشهر، واستقبلناه بخطبة عظيمة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله، أبان فيها مكانة وقداسة هذا الشهر العظيم.

وها هي أيامه قد انفضت، ولياليه قد تصرمت، والله أعلم بحالنا من كل أحد، وهذه النعم الجسيمة التي منّ الله علينا بها سواء في استقباله أو في أيامه ولياليه من الأدعية والعبادات، ولا سيما أنه بلغنا تلك الليلة؛ وهي ليلة القدر فمنحنا عطاءه.

ولا ريب أن يكون لوداعه آداب على المؤمن أن يلتفت لها، خصوصاً ونحن مقبلون على وداعه، ومن الملفت أن الحث على وداعه ممتزج بالدموع والآهات والالام، كما في الدعاء المروي عن الإمام السجاد عليه السلام في وداعه.

وهي محطة وفرصة كبيرة ومهمة وربما تكون الأخيرة، ولا ندرك الشهر من قابل، إذ ينتاب المؤمنين الحزن والألم لعلمهم بحال الشهر وفراقه، وكأنه توديع لمحّب وضيف عزيز يأمل أن لا يفترق معه.

فعليه؛ يجب أن يتمسك المؤمن بآخر اللحظات خصوصاً إذا علم أن الله يعتق في ليلة العيد بعدد ما أعتقه في الشهر الكريم، لينال شرف الفوز والنجاة من أهوال القيامة.

فلا بد أن نتحلّى بجملة من الآداب وهي:

التوبة الصادقة: فهي الطريق للوصول إلى المقامات؛ عبر ترك الذنوب والاقبال على الله، فلنغتني الفرصة ونجعل من شهر رمضان نقطة التحول نحو الطاعة والاستقامة.

قيام الليل: ربما قد غفلنا في بعض لياليه عن قيام الليل، وهي الطريق الأسرع للوصول إلى الله، كما يقول العارف السيد القاضي قدس الله سره: من أراد الدنيا فعليه بصلاة الليل، ومن أراد الآخرة فعليه بصلاة الليل، ولا يمكن امتطاء الطريق إلا عبر صلاة الليل.

الإنفاق الواجب والمستحب: من المعلوم أن زكاة الفطر هي لسلامة السنة القادمة؛ والإنفاق سواء الواجب أو المستحب يتضاعف في شهر رمضان، وبها تزيد المكتسبات والأرباح، فلا نبخل بما وهبنا الله من ذنوبنا الذي يُفرضُ الله - قَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً - وَاللَّهُ يُقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - فأَيُّ تجارة أربح من هذه، وأي صفقة أكثر ضمانًا من تلك؟

الدعاء: إذا كان لشهر رمضان خصوصية فالدعاء سمة بارزة فيه، من حيث تعدد أدعيه النهار والسر والجل والإفطار وغيرها، ومن المعلوم أن الدعاء سلاح المؤمن، بل هو ملاذ العشاق وطرق الخشوع والإستقامة، ومن منا لا يحتاج إلى هذا السلاح

لذا على المؤمن أن لا يغفل عن دعاء وداع شهر رمضان المروي عن الإمام السجاد (عليه السلام)، والذي يحوي المضامين المؤثرة.

ومن أهم آداب الخروج من ضيافة الله هي المراجعة الذاتية التي يخضع لها الصائم، إذ علينا أن نقف متأملين حال الوداع واللحظات الأخيرة ليتعرف العبد على حقيقة ما ضيعه من أوقات ثمينة ولنسأل أنفسنا ما حققنا من هذه الضيافة؟!

ومن تلك الأساليب الواردة في سيرة أهل البيت عليهم السلام الحث على الدعاء المتضمن للأيام الأخيرة للشهر الكريم كما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخِرِ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا بَصُرَ بِي، قَالَ لِي: «يَا جَابِرُ، هَذَا آخِرُ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَوَدِّعْهُ وَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ صِيَامِنَا إِيَّاهُ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ فَاجْعَلْنِي مَرْحُومًا، وَلَا تَجْعَلْنِي مَحْرُومًا. فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ طَفِرَ بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ، إِمَّا بِبُلُوغِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ قَابِلٍ، وَإِمَّا بِغُفْرَانِ اللَّهِ - وَرَحْمَتِهِ -

وختاماً مع السيرة العملية للإمام السجاد عليه السلام عبر الرواية المروية عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه لنستلهم منها الدروس والعبر.

كانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ لَا يَضْرِبُ عَبْدًا لَهُ وَلَا أَمَةً، وَكَانَ إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ يَكْتُبُ عِنْدَهُ أَذْنَبَ فُلَانٌ، أَذْنَبَتْ فُلَانَةٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ فَيَجْتَمِعْ عَلَيْهِمُ الْأَدَبُ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ دَعَاهُمْ وَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ، ثُمَّ أَطَهَرَ الْكِتَابَ ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلَانُ،

فَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ اُؤَدِّ بِكَ اَتَذْكُرُ ذَلِكَ؟» فَيَقُولُ: بَلَى، يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِمْ وَيُقَرَّرَ رَهُمْ جَمِيعًا. ثُمَّ يَقُومُ وَسَطَهُمْ وَيَقُولُ لَهُمْ: «ارْفَعُوا أَصَوَاتَكُمْ وَقُولُوا: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، إِنَّ رَبَّكَ قَدْ أَحْصَى عَلَيْكَ كُلَّ مَا عَمِلْتَ، كَمَا أَحْصَيْتَ عَلَيْنَا كُلَّ مَا عَمَلْنَا، وَلَدَيْهِ كِتَابٌ يَنْطَرِقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِمَّا أَتَيْتَ إِلَّا أَحْصَاهَا، وَتَجِدُ كُلَّ مَا عَمِلْتَ لَدَيْهِ حَاضِرًا، كَمَا وَجَدْنَا كُلَّ مَا عَمَلْنَا لَدَيْكَ حَاضِرًا، فَاعْفُ وَاصْفَحْ كَمَا تَرْجُو مِنَ الْمَلِكِ الْعَفْوَ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَعْفُوَ الْمَلِكُ عَنْكَ، فَاعْفُ عَنَّا تَجِدَهُ عَفْوًا، وَبِكَ رَحِيمًا، وَلَكَ غَفُورًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، كَمَا لَدَيْكَ كِتَابٌ يَنْطَرِقُ عَلَيْنَا بِالْحَقِّ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِمَّا أَتَيْنَاهَا إِلَّا أَحْصَاهَا. فَاذْكُرْ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ذُلَّ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَيَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا وَشَهِيدًا، فَاعْفُ وَاصْفَحْ يَعْفُو عَنْكَ الْمَلِكُ وَيَصْفَحُ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا» أَلَا تُحْيُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟» قَالَ: وَهُوَ يُنَادِي بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ وَيُلَاقِيَهُمْ، وَهُمْ يُنَادُونَ مَعَهُ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمْ يَبْكِي وَيَنُوحُ، وَيَقُولُ: «رَبِّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمْنَا، فَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، فَذَحْنُ قَدْ عَفَوْنَا عَمَّنْ ظَلَمْنَا كَمَا أَمَرْتَ، فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ، وَأَمَرْتَنَا أَنْ لَا نَرُدَّ سَائِلًا عَنْ أَبْوَابِنَا، وَقَدْ أَتَيْنَاكَ سُؤلاً وَمَسَاكِينَ، وَقَدْ أَنْخَنَّا بِرِفَائِكَ وَبِجَابِكَ، نَطْلُبُ نَائِلَكَ وَمَعْرُوفَكَ وَعَطَاءَكَ، فَاْمَنْ بِذَلِكَ عَلَيْنَا، وَلَا تُخَيِّبْنَا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ. إلهي كَرُمْتَ فَأَكْرَمْنِي؛ إِذْ كُنْتُ مِنْ سُؤْلكَ وَجُدْتَ بِالْمَعْرُوفِ فَاخْلَطْنِي بِأَهْلِ نَوَالِكَ يَا كَرِيمُ». ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ، فَهَلْ عَفَوْتُمْ عَنِّي وَمِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَيْكُمْ مِنْ سُوءٍ مَلَكَتْ؟ فَإِنَّ رَبِّي مَلِكٌ سُوءٍ، لَنُؤَيِّمُ ظَالِمٌ، مَمْلُوكٌ لِمَلِكٍ كَرِيمٍ جَوَادٍ عَادِلٍ مُحْسِنٍ مُتَعَفِّلٍ»، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ يَا سَيِّدَنَا وَمَا أَسَأْتَ! فَيَقُولُ لَهُمْ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ اعْفُ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا عَفَا عَنَّا، وَأَعْتِزْهُ مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْتَقَ رِقَابَنَا مِنَ الرِّقِّ»، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اذْهَبُوا فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ، وَأَعْتَقْتُ رِقَابَكُمْ رَجَاءً لِلْعَفْوِ عَنِّي وَعِزِّ رَقَبَتِي»، فَيُعْتِزُّهُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ أَجَازَهُمْ بِجَوَائِزَ تَصَوَّنُهُمْ وَتُغْنِيهِمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.